

في بداية التكوين كان عدد البشر في الكون الواسع محدود جدا ، ولم ت تعرض البيئة المخلفات المصانع او تدمير الالات الثقيلة الهادرة ، ورغم الهمجية والجهل للذان وصم بهما الإنسان الأول في التعامل مع الطبيعة والمحيط البيئي إلا أن الفضاء والقشرة الأرضية البكر أعدت وجودها لمواجهة كل هفوة أو تصرف غير عقلاني ، وعندما بدت مراحل التغيير الجوهري الأول في بلاد ما بين النهرين واضعا نهاية لتلك الصورة البائسة التي كانت تؤرخ لوجود الإنسان الحجري الأول ، الذي كان يتواجد في صورة المجموعات البسيطة المنتاثرة الخائفة المنزوية في جحور الظلام خارج حالة الفعل الإنساني المتحضر ، تلك الصائعة بين محيط غابات خضراء كثيفة تعج بالكواسر أو في مدار الجبال المنغلقة على تكوينها ذات التضاريس الفاسية ، أو في الساحات الأخرى حيث تتواجد المياه ، تلك الصورة التي قدمتها لنا كتب العلماء الذين استنبطوها من التنقيب 17 والحفريات في مدافن الحضارة القديمة جدا ، قبل ظهور ظاهرة تكوين التجمعات الصغيرة وصولا إلى المدن المثبتة في خريطة العالم القديم الأول قبل ما يقارب 7000 سنة قبل الميلاد - على وجه التحديد ، كان الإنسان الأول الذي تشكلت منه فيما بعد المجموعات البشرية الأولى وفق حالة التجانس الجديدة يقتات في طعامه على الحبوب والأعشاب البرية ، عندما يعمد إلى حصدتها بتلك الأدوات البسيطة الصخرية التي صنعها وهي في الغالب مناجل حجرية ، كانت تلك المحاولة إلى جانب الصيد هي أولى محاولات الدخول إلى التفكير العقلاني للبحث عن حالة مستقرة تقود إلى فضاء مختلف . وعندما نسجت القوى البشرية في سومر ومدن أخرى مجاورة لها في تكوين ميزابوتاميا - بلاد ما بين النهرين وبدا التحرك نحو فجر المدينة وصار الشروع في الخطوة الأولى مؤكدا ولاح شعاع المدينة الأولى وتجاربه الأولى التي AGRICULTURE - في فجر التاريخ ، وكان العامل الذي صنع ذلك الحدث الفعل الضاغط علم الزراعة بكل التفاصيل التي تم تثبيتها وكانت مدحشة - CULTURE - تراكمت وقادت البشرية من خلال حصيلتها إلى فضاء الثقاقة للعقل والبصر ، التزاوج العملي بين الزراعة والثقافة أوجد فضاء الحضارة الكبير الذي ظل يتجدد رغم التخريب والدمار للغلاف البيئي بسبب الكوارث المتنوعة الزراعة دفعت الإنسان الأول لاختراع العوامل تمدها بيديه وفق نظريبي أيضا تم استحداثه والاهتماء إليه من خلال التجارب والاقتراب من التفكير بحالة الخطر غير المعروفة ، عند تثبيت الإطار البيئي والتأكد من حالة القدرة على الولوج المحكم للأفق الجديد ، خرج الإنسان من الحالة الهمجية - تاركا كهوف الظلام - متوجلا في الأفق الجديد المعلوم معتمدا الذوق والتبصر في الاكتشاف لتلك المفردات الغريبة والجديدة ، وللمرة الأولى يستخدم الحسن البشري بشكل فاعل ومؤثر إلى جانب اعتماد منهجة التفكير وإشاعة أصول جديدة في التصرف والتعامل ، بدأت الخشونة والهمجية تختفي وتحل بدلا منها الرقة والدقة في البحث لفهم الظواهر العديدة المنتشرة في الفضاء البيئي الطبيعي أصبح الشغل الشاغل للإنسان الأول الاهتمام بالإطار الحيوي ومعرفة القوانين المؤثرة فيه سلبا أو إيجابا ، نهم تلك الظواهر الكثيرة والدخول إلى حالة التفكير العملي العلمي وضع الإنسان القديم في صلب حالة جديدة في تفاصيلها الحكم والمعرفة والتشريع ومحاكاة الخيال - الفنون - هكذا قاد فعل اختراع الزراعة وأدواتها إلى فتح كوة من التور لاكتشاف ثورة العقل ، وفي ذلك الزمن البعيد صار الحق يجرك وينسج بيته المدينة ، ويكشف عن خصائص جديدة تمثلت فيها صورة الإنسان وهو يتحرك في الحياة والظواهر المحيطة بها ، ولعل من الحقائق المهمة التي ارتبطت بذلك الفعل الجديد أن الزراعة أوقدت شعلة المعرفة المفتوحة وخرج من ردائها الإنجاز الصناعي والتجاري وجميع أنماط الحياة الجديدة الأخرى والتي تحكم حركتها وحدودها العلم والذكاء والقانون والتفاعل الاجتماعي وفق حالات باهرة من الخلق والابتكار في كل شيء حتى قال أحد الحكماء أن المدينة تبدأ من كوخ الفلاح السومري ومن عطاء مزرعته لكنها لا تنموا أو تزدهر أو تشكل صورة لها قيمتها المؤثرة إلا في المدن ذات الفضاء الحضاري البيئي . أن وجود ظواهر أخرى ثم تحديدها والإثارة إليها ضمن معطيات التحولات التي رافق حضارة تل العيد تجسدت في ظاهرة الاستقرار في الأرض وأيضا بناء المستوطنات الدائمة ذات الشكل البدائي ، ثم الإشارة الأولى التي سجلت هوامش البحث عن المعرفة والتجربة العلمي ممثلا في الاكتشافات البدائية والمهمة جدا مثل التأسيس لعلم الزراعة والبداية في تنظيم الإنتاج وتعدد 19 أنواع الغذاء إلى جانب تدجين الحيوانات وامتلاك قطعان الماشية ومغادرة الكهوف والبداية الفعلية في إنشاء التجمعات السكنية الهادفة إلى الاستقرار فوق أراضي السهول الزراعية ذات الأرض الخصبة والتي توفر لها المياه وأيضا كما يسجل في تلك المرحلة الاهتماء إلى أسلوب التصنيف للبذور ، والبداية بزراعتها بعد أن أنفق أسلاف الإنسان السومري السنوات الطويلة في تجارب قاسية متواصلة لجمع تلك الحبوب وتصنيفها والبداية في وضع الجداول الزمنية الزراعتها حسب المواسم الطقسية المتغيرة ، تلك المفردات شكلت ظهور الشكل الحضاري الجديد وعملت على تدعيمه بأهم الاختراعات آنذاك كما عملت على طي صفحة التخلف المتمثلة في مرحلة الصيد البدائي وحياة الكهوف ودشنست مرحلة الزراعة والاستقرار وأعلنت بداية تشكيل الجانب المعرفي والاقتصادي وتأسيس

القاعدة الحضارية ذات الأبعاد المختلفة ، أن أكثر الدلائل واهمها عقلانية تشير حتى هذا الوقت إلى حقيقة جوهرية تفيد بأن تلك التحولات التي رافقت بداية الحضارة السومرية هي التي شكلت القاعدة القوية لتأسيس حضارتنا الحالية)اسطورة بلاد ما بين النهرين الكتاب الأول الصادر عن دار خطوط للنشر والتوزيع - دمشق 2007- في المقدمة توجد معلومات وافية عن تفاصيل الحضارة الرا福德ية . تلك العوامل مجتمعة أدت إلى تحول كبير وهام جداً تمثل في ظهور المدن والتأسيس للظاهرة البيئية في إطارها الأول ، ووضع العالمة الأولى أيضاً للمدينة البشرية ، الأمر الذي قاد بشكل حاسم إلى تبلور التكوينات الاجتماعية والدينية والسياسية والتشريع ، وكذلك اعتماد الطقوس وابتداع الأساطير ، وصولاً إلى أهم أخترع سجلاته تلك الحضارة البشرية ، ذلك الإنجاز الذي أحدث انقلاباً جزرياً في كل أشكال الحضارة اللاحقة ، فدم السومريون أيضاً اختراعات واكتشافات أكثر أهمية مثل العجلة والمحراث الزراعي وأوجدوا النظام العشري وكذلك قسموا محيط الدائرة إلى (360 درجة) والسنة إلى (365) ووضعوا أساس الرياضيات ومبادئ الهندسة ورصدوا الأفلاك والنجوم ، وبنوا المعابد وأسسوا نظم الحكم والإدارة ووضعوا صياغة للشرائع الدينية والدينوية في القانون وتنظيم أمور الحياة . سومر- بابل- آشور بلاد سومر هي تلك الأرض التي تكونت على مر العصور من الطمي المتواصل في النهرين الدجلة والفرات وبسبب الطقس الحار والجاف ظلت تلك السهول جراءً واقعة دوماً تحت تأثير هبوب الرياح الصحراوية القاسية ، ظلت ردحاً من الزمن قائمة يندر فيها الزرع ، إلا أن الإنسان السومري القديم أكتشف سر تلك الأرض وعمد إلى شق الجداول والسوابقي والقنوات وأقام بذلك نظاماً للري أحيا به الأرض فتحولت تلك السهول الجرداء تقرباً إلى أرض خصبة صالحة للإنتاج الزراعي ، وعلى مدى الحقب الزمنية المتابعة تغير كل شيء وصارت تلك الأرض توصف بجنة عدن كما ورد في أسفار العهد القديم ، 21 كانت تلك البدايات هي الدروس المترادفة في مجال الحث على التغيير البيئي . ارتفعت سومر إلى ذرى جديدة من القوة السياسية والثراء الاقتصادي ، وتل أبو حبة وغيرها من المدن السومرية ، يضاف إلى ذلك أن نظام الحياة في سومر وما رافق تلك التقسيمات الإدارية والاجتماعية عزّ الفكرة التي تدعو إلى عدم الفصل ما بين المادة والروح . فيما بعد حد المفهوم الإغريقي معالم الإطار البيئي للمدينة بأنها دويلة ذات عمود مركزي تستند إليه وتبعها المدن الصغيرة والملحقات الأخرى من القرى المحيطة أو المجاورة لها ، وشهدت تلك الأطر البيئية أحداث مهمة تركت تأثيرها على مجمل التكوين البشري والاجتماعي اللاحق في مدن مثل سومر وبابل وآشور وأثينا وأسپارطة وروما وبيزنطة وقرطاجنة . عند تناول تأثير العامل البيئي الذي دفع البشرية في خطوات محسوبة نحو التشكيل والتكوين الحضاري ، تجد تلك القواصيل الزمنية قد والعصر PLEISTOCENE PERIOD - سجلت في الفترة القديمة حالة واضحة للتماثل التام بين بيئه العصر البليستوسيني اللذان وضع التغيير المناخي نهايتهما من خلال تقهقر البيئة المتجمدة كما تحقق انحسار الثلوج التي كانت ICE AGE الجليدي تغطي أغلب بقاع العالم وظهرت المناطق الجديدة ذات المناخ المتبدل المعتمد ، ذلك التحول البيئي كما تشير الأبحاث والدراسات العلمية على أنه حصل قبل مليون سنة ، بعد أن 22 تداخلت الفترات الجليدية الأربع مع فترات بيئية أخرى سادها المناخ الدافئ الذي أثر في تغيير خريطة الوضع البيئي مما أتاح المجال أمام التبدل وفي العوامل المعروفة في تفاصيل الإيكولوجيا . في تفاصيل التبدل البيئي حملت الكثير من التغييرات منها الذي شمل الحيوانات مثل الماموث الصوفي ، الفيلة التي كانت تتواجد في أمريكا وعدة أنواع من الفيلة والماموث والماستبدون والمارد الأرضي والنمر ذو الأسنان السيفية كما شمل التغيير هيئة تلك التي توصف بأنها ذات AUSTRALOPITHECINE - الإنسان أيضاً مثل الكائنات التي كانت تعرف بالإنسان الأسترالي مواصفات تجمع بين هيئة لإنسان القردة والتي يعتبرها علماء الآثار بمثابة النموذج البشري الأول ، لكن الت hariات الإيكولوجية الذي اعتبرته الدراسات العلمية أقرب الشبه من تكوين PITHECAN THROPUS كشفت عن نموذج آخر يسمى إنسان آسيا - الإنسان الحالي وجدت أثاره في ، الذي اعتبرته الدراسات العلمية أقرب الشبه من تكوين الإنسان الحالي - تواجد في المناطق الشرقية من آسيا وجدت أثاره في موقعين هما- چاوه كما وجد في الصين . أفاد العلماء بأنه النموذج القريب من الإنسان حيث يوصف بأنه يسير في حركته منتصباً ، له جمجمه بشري تدل عليها أغلب الصفات ، إلا أنه كان يتميز بوجود حواف سميكة من العظام فوق 23 العينين ، كما أن الفكين كانوا بارزين للإمام ، ويرى بعض العلماء أنه في هيئة إنسان ولكنه محبف المنظر ، ولا يمكن اعتباره قرداً ، جاءت تلك النظريات والأبحاث العلمية بدلائل تعزز فكرة اعتباره منتمياً إلى الجنس البشري الذي ينتمي إليه تلك - HOME OSAPIENS - التمييزه عن النموذج الآخر HOME ERECTUS الإنسان الحديث وقد أطلق عليه اسم المعلومات تم تثبيتها من خلال نتائج التنقيب والحفريات التي شملت العديد من الموقع الحضاري الأولى حيث اهتمى علماء الأركيولوجيا إلى ذلك من خلال نماذج الأدوات الحجرية المصقوله التي صنعها إنسان تلك الفترة ، ثم قدمت الأبحاث نتائج أخرى

أكثر أهمية أشارت إلى وجود نوعين من الإنسان الأول في أوروبا كان يماثل في صفاته الطبيعية الإنسان الحديث والثاني هو إنسان كما اعتبرت رسوم الكهوف مفاجأة كبيرة كشفت عن تفكير وإبداع مستمد من البيئة - NEANDERTHAL - نيندراثال التي أحاطت بالإنسان القديم حيث جسد في تلك الرسوم الحيوانات التي كانت تتوارد معه مثل الثيران - الجاموس البري - الحيوانات الكاسرة المفترسة - الخيول - حيوانات أخرى تم تدوينها ، تلك الرسوم مثلت محاكاة الإنسان الأولى للفضاء البيئي الذي ينتمي إلى الفترة البعيدة بزمن يمتد ما بين 10000-25000 سنة ، ثم تأكد لهم بشكل قاطع أن تاريخ البيئة له صلة وتأثير واضح على هواجس القلق التي تنطلق في فضاء العصر الحديث المتواolloة من القضايا البيئية المعقدة والمتشابكة ، وفي رحلتهم لتتبع حلقات الزمن الماضي البعيد وصولاً إلى الحاضر لعيارات وأحداث من أجزاء مختلفة من بقاع العالم ، تمكنوا من رسم صورة تبدو متكاملة عن التاريخ البيئي الذي لا ينفصل عن دراسة تاريخ التكوين الكوني والحضارة والتطور المعرفي بشكل عام - البيولوجي - الصحي - التجاري - الزراعي الثقافي السياسي ، التاريخ 24 البشري الكوني يوجد على تخوم حدود العلوم الاجتماعية - الإنسانية ، بينما توجد الجغرافيا على الحدود بين العلوم الاجتماعية والتطبيقية ، حيث تجمع تجربة الثقافة الإنسانية التي تشكلت من حالة الإدراك البشري الذي أسس فيما بعد الوعي البيئي وتلك حقيقة يقر بها العلم المعاصر الثقافة الإنسانية كان لها القدرة المذهلة على محصلة التغيير في الطبيعة خلال الحقب الزمنية المتتابعة وبدرجات متفاوتة ، ظهور الإمبراطوريات الزراعية التي نتج عنها التكوين السياسي والتجاري والصناعي والثقافي الفنون والعقيدة الدينية والعمران وتزايد الحروب . في هذه المرحلة كانت الحاجة قد دفعت تلك الإمبراطوريات إلى اكتشاف عوامل تقنية تساعده في تذليل الحاجز البيئي لكي يتضاعف الإنتاج الزراعي أولاً وبقية التكوينات التي تجسد الشهد الحضاري العام لكل مرحلة تقنية السود - شق الأنهر والجداول - زراعة المدرجات الجنائين المعلقة في بابل أستصلاح الأراضي وتجربة البنور غير المعروفة من قبل ، إقامة البحيرات الصناعية بجوار الفترة الصناعية الحديثة التي - 4 SIMMONS 25 By - I . Environmental History (المدن الكبيرة التخزين المياه ،) امتدت من العام 1800 - وحتى الوقت الحاضر ، حيث تمكنت الحضارة البشرية من التوصل إلى حزام من المدن التي تمتد بين بقاع العالم شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً - وهي تمثل الفضاء الحيوي للبشرية التي تعمل ضمن تفعيل الصناعة والزراعة والاقتصاد والعلوم عامة والثقافة واكتشاف الوقود وبداية عصر الانفجار الصناعي الكبير ، واستخدام الوقود الأحفوري . - المرحلة اللاحقة - مرحلة الجسم الصناعي العالي وظهور الإمبراطوريات الصناعية - التجارية العلمية في هذه المرحلة سادت أيضاً الحروب التي دفعت إلى السيادة الصناعية وبروز التكتلات ذات السيطرة الاستعمارية بريطانيا الاتحاد السوفيتي السابق - البرتغال - إسبانيا - الولايات المتحدة الأمريكية - المانيا النازية - في السنتين من القرن الماضي القرن العشرين بداية التاريخ الفعلي للبحث عن المنهج العلمي في وضع أفكار التوعية والإعلام البيئي والصحي من خلال الاتفاقيات العالمية التي انطلقت من ضرورة السيطرة على حالة الانفلات الصناعي المسبب الرئيس لمجمل حالات التلوث والعمل ضمن الخصائص البيئية الإقليمية التحديد الخطير ومعالجته . في بلاد ما بين النهرين مهدت الحضارة السومرية 26 العظيمة لظهور حضارتين مهمتين لهما ذات التأثير الحضاري والعلمي المعرفى العظيمة لظهور حضارتين مهمتين لهما ذات التأثير الحضاري والعلمى المعرفى ، مما حضارة - بابل وآشور اللتان وصل التنافس بينهما أشد في مجال العمارة البيئية والفنون وتحسين البيئة من خلال الزراعة والمصادر - التشجير والسدود وتطوير أنظمة الري والتوزيع التحويل وزيادة الرقعة الزراعية وشق القنوات وبناء الزقورات والمعابد الجنائين المعلقة والنحت النافر ، في فترة الملك العظيم حمورابي وضفت أفكار جديدة ومهمة الأسس الإعلام البيئي والتوعية التي كانت قد أشارت إليها التشريعات السابقة والأفكار الواردة في الأساطير والملاحم كما هي الحال في ملحمة جلجامش - البحث عن نبات الخلود ، وأيضاً في التراتيل والأناشيد السومرية ، كان لها الأثر الواضح في تحضير البلاد وتطوير استصلاح الأرض والامتناع عن قطع النخيل والأشجار وأهداف أخرى جميعها تدخل في صلب موضوع الحفاظ على البيئة السليمة وصيانتها في سومر التكوين الأول للوجود اهتمت التجمعات البشرية ببناء الأكواخ من أعواد القصب والبردي لكي تتناسب حالة الجفاف ودرجات الحرارة العالية وهبوب العواصف الرملية ، لم يكن ذلك من فراغ بل اعتماداً على تجربة إنسانية متراكمة وعلى خزین من حكم وقصص وتحذيرات تشكل حالة الوعي الأول للمحيط البيئي وسبل التأقلم معه ومصدر التوعية الإعلامية آنذاك ، تحولت تلك الأكواخ فيما بعد إلى مدن مهمة دخلت التاريخ من أوسع الأبواب ، وضمن أفياء الحضارة السومرية أيضاً ، استعمل السومريون الألواح الطينية للكتابة ، بعد أن تأكد لهم أنها تحمل التأثيرات البيئية آلاف السنين . كما اخترعوا المزولة - وأيضاً ساعة مائية لمعرفة الوقت ووحدات التقدير الوزن والقياس ، كما يتم على أيديهم صناعة محاجر للحجر المرمر والصلصال ،

وايضاً إيداع النقوش القادرة على الخلود رغم 27 التبدل البيئي آلاف السنين . إلى جانب تقسيم الزمان والمكان إلى وحدات ، في الظروف المعروفة بالغمر طوال فترة نموه في مياه تحرك ببطء يتراوح عمقها بين 150-100 مليمترًا كما سجلت تجارب وادي الرافدين ستة وعشرين أسلوباً لإدارة التربة وثلاثة وعشرين طريقة لإدارة المياه ، امتلك الإنسان في تلك المرحلة القدرة الكاملة على الإبداع إلى جانب عامل السيطرة والقيادة والتخطيط المنهجي ، تمثلت تلك المراحل المتتابعة في استغلال الأرض والمياه إلى أقصى الحدود - اطلق على ارض بلاد ما بين النهرين فيما بعد أرض السواد لكثرة الزراعة فيها ، العالم الأمريكي ايمن . سيمونز صاحب الجهد البارز في مجال البحث في مشكلة المياه العالمية ، يظهر في جميع مؤلفاته تقديرًا كبيرًا للحضارات التي نشأت في الحديث عن شبكات الري والسدود وفق Environ Mental History بلاد وا الرافدين وقد خصص فصلاً كاملاً في كتابه الموسوم المراحل الحضارية المتعاقبة ، في محاضرته التي القاها في جامعة تكساس روي قصة قديمة تتعلق بلاد الرافدين بطلتها وصاحبة القرار فيها ملكة آشورية واجهت آنذاك جانيا من المشكلة الدائمة في حوض الرافدين عندما كانت الأنهر تفيض دون سابق إنذار فتلحق دماراً هائلاً بالحياة والبيئة ، درست الملكة الأمر من جميع جوانبه تم امرت برنامه جبره حزين بلة حملها (75 كيلومتراً) (أشورية واجهت آنذاك جانيا من المشكلة الدائمة في حوض الرافدين عندما كانت الأنهر تفيض دون سابق إنذار فتلحق دار) ، مائة بالحياة والبيئة